جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

المرحلة الثالثة

المادة : النقد العربي القديم

عنوان المحاضرة : الجاحظ وقضية اللفظ والمعنى

إعداد : الدكتور وسام سعود حسين داود العزاوي

المرحلة الثالثة / قسم اللغة العربية

كلية التربية للبنات / جامعة تكريت

٢٠٢٣ – ٢٠٢٤

wesamalazawy@tu.edu.iq

التعريف بالجاحظ

الجاحظ هو من من كبار أئمّة الأدب فهو إمام الأدباء في العصر العباسي الثاني، وهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي بالولاء الذي وُلد في البصرة سنة ١٥٩هـ بحسب بعض المؤرّخين، وسُمّي بالجاحظ لجحوظ عينيه، كما عمل جمالاً عند عمرو بن قلع الكناني، ومن صفاته أنّه كان حاد الذكاء، ذا جلدٍ وصرامةٍ وقدرةٍ على الكلام، وبديهة ورأي جيّد، كما كانت له أساليب ومذاهب وآراء في الأدب واللغة خاصة به، ووضع طريقة بالإنشاء عُرفت باسمه، لذا اعتُبر قدوة المنشئين وإمامهم في ذلك العصر مثلما كان ابن المقفع إمامهم في العصر الأول .

أسلوب الجاحظ اللغويّ والأدبيّ :

اشتُهر الجاحظ بأسلوبه الإنشائي الذي لا يوجد من كتّاب العربية من يتفوق عليه فيه، فهو في النثر كالبحتري في الشعر، فامتاز أسلوبه الإنشائي برقيّ الألفاظ والجمل، والسهولة والوضوح، وسحر البيان، كما تظهر شخصية الجاحظ بقوة في كتاباته، كما يكثر فيه أيضاً من الاستطراد حتى يخرج بالقارئ عن الموضوع الرئيسي ليتناول موضوعاً غيره ثمّ يعود للموضوع الأول، وهذا يدل على غزارة مادته وطاعة الألفاظ له وكثرة المران على الجدل، فلم يترك الجاحظ موضوعاً من مواضيع الحياة إلا وكتب فيه، فقد كتب في التوحيد والقرآن ومذاهب الفِرَق الإسلامية، وكتب في الأدب وفنونه شعرًا ونثرًا، وجِدًّا وهزلًا، وكتب في الأخلاق والاجتماع وطبائع الناس، ولم يَفُتْهُ أن يكتب في الطب والكيمياء، وأبدع في دقة التصوير وحكاية الواقع ووصف الحديث، ثمّ إنّ أدب الجاحظ واقعي صريح يصور الحقيقة كما هي، ويرى في ذلك السبيلَ الأقوم فيدعو إليه ويعيب من يرغب عنه. امتاز أسلوب الجاحظ أيضاً بالسخرية والنظر الثاقب، وخصوبة الخيال، وخلط الجد بالهزل، ويعتبر الجاحظ هو مبتكر هذا الأسلوب، وهو يرى أنّ المزاح شعبة من شعب السهولة، وصور ذلك فقال: (وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضيات، أن يُحمل أصحابها على الجد الصرف، وعلى العقل المحض، وعلى الحق المر، وعلى المعاني الصعبة، التي تستكد النفوس، وتستفرغ المجهود،

وللصـــبرغاية وللإحتمـــال نهايـــة، ولا بـــأس بـــأن يكـــون الكتـــاب موشـــحاً بـــبعض الهـــزل) .

قضية اللفظ والمعنى عند الجاحظ

في الوقت الذي كان فيه ابن سلام الجمحي يمثل الذوق البدوي والذوق العلمي المتزمت ، كان الجاحظ يمثل الفكر المتفتح المتحضر، وان جذور ابن سلام الثقافية التي تخرج عن نطاق المدرسة اللغوية والنحوية تختلف عن جذور الجاحظ الفلسفية ذات النزعة الباحثة عن الجمال في الأدب .

فقد حاول وضع نظريات ووجهات نظر جديدة فيما يخص الأدب واللغة والبلاغة النادرة

يؤكد الجاحظ نظريته في الشكل ، إن المعوُّل في الشعر، إنما يقع على : (إقامة الوزن ، وتغير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك)وبهذا يتحييز للشكل ، قلُل الجاحظ من قيمة المحتوى ، وقال قولته التي طال ترددها : (والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي).

لماذا اتجه الجاحظ هذا الاتجاه مع أنه لم يكن من الشكليين في التطبيق ؟

لهذا أسباب كثيرة : منها أن الجاحظ لم يتابع أستاذه انظام في قوله بالصرفة تفسيراً للاعجاز .

وإنما وجد أن الاعجاز لا يفسر إلا عن طريق النظم ، ومن آمن بان النظم حقيقة يرفع البيان الى مستوى الاعجاز لم يعد قادراً على أن يتبنى نظرية تقديم المعنى على اللفظ .

ومنها أن عصر الجاحظ كان يشهد بوادر حملة عنيفة يقوم بها النقاد لتبيان السرقة في معاني الشعراء ،ولا نستبعد ان يكون الجاحظ قد حاول الردّ على هذا التيار مرتين :

مرة بأن لا يشغل نفسه بموضوع السرقات كما فعل معاصروه ، ومرة بأن يقرر أن الأفضلية للشكل لأن المعاني قد تشترك بين الناس جميعا .

وسبب ثالث قائم في طبيعة الجاحظ نفسه ، فقد كان رجلاً خصب القريحة لا يعييه الموضوع و لا يثقل عليه المحتوى أيا كان لونه . لذ ا فأنه كان يحس أن المعنى موجود في كل مكان ،وما على الأديب إلا أن يتناوله و يصوغه صياغة متفردة ، ولم يكن الجاحظ يتصور أن نظريته التي لم تكتمل تمثل خطراً عليه ستصبح في أيدي رجال البيان خطراً على المقايس البلاغية والنقدية ، لانها ستجعل العناية بالشكل شغلهم الشاغل ، وحسبنا أن نقرأ أبو هلال عسكري (ت ٣٩٥ هـ) الذي ورث هذه النظرية الجاحظية يقول) : (و من الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ ،أن الخطب الرائعة والأشعار الرائقة ما عُمِلَتْ لافهام المعاني فقط ، لأن الردي من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الافهام ، وإنما يدلُ حسن الكلام وأحكام صنعته ورونق الفاظه وجودة مطالعه وحسن مقاطعه وبديع مباديه وغريب مباينه على فضل قائله وفهم منشئه ، وأكثر هذه الأوصاف ترجع الى الألفاظ دون المعاني ، وتوخي صواب المعنى أحسن في توخي هذه الامور من الالفاظ ، ولهذا تأنق الكاتب في الرسالة والخطب والشاعر في القصيدة .